ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد: 10، العدد: 01 (2025) ص: 292 - 301

استراتيجية التخييل السردي في رواية "هاء وأسفار عشتار" لعز الدين جلاوجي-مقاربة في ضوء النقد الأسطوري-

The Strategy of Narrative Fictionalization in Hā' waAsfār Ishtar by Azeddine Djelaouji: A Myth-Critical Approach

بلقرون فاطمة زهرة*

جامعة أحمد بن بلة، وهران1 (الجزائر)

belgroun.fatima@edu.univ-oran1.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2025/02/07
تاريخ القبول:
2025/05/31
تاريخ النشر:
2025/06/02

- ✓ تخييل
- ✓ فضاء
- ✓ شخصية
- ✓ أسطورة
- ✓ عز الدين جلاوجي

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف عند استراتيجية التخييل السردي في رواية "هاء وأسفار عشتار" لعز الدين جلاوجي، وقد أثار انتباهنا منذ العتبة العنوانية إلى آخر جملة في الرواية إلى أنّ الأسطورة شكلت ظاهرة نصية طبعت المتخيل الفني للرواية،وجعلتها تتأرجح بين نسقين متمايزين: نسق تقليدي يمتح من المورث الميثولوجي، ونسق حداثي تجريبي يسعى إلى المغايرة وبناء خصوصية الجنس الروائي العربي. وبناء على هذه القراءة اخترنا النقد الأسطوري منهجا نقديا نقرأ بأدواته استراتيجية التخييل السردي في الرواية، وعبر هذا النسق من الاشتغال النقدي قسمنا الورقة البحثية إلى قسمين: القسم الأول خاص بإبراز أدوات النقد الأسطوري تنظيريا، أما القسم الثاني فجاء إجرائيا من خلال تطبيق المعالجة الأسطورية على رواية "هاء وأسفار عشتار". وفي الختام توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: قدرة السارد على صياغة رؤيته صياغة سردية أسطورية تتحرك في فضاءات يتجاذبها الواقعي والأسطوري، القدرة على تحريض فعل النقد حول علاقة الذات بعالمها وبالآخر.

Article info

Received
07/02/2025
Accepted
31/05/2025
Published
02/06/2025

Keywords:
- ✓ *Fictionalization*
- ✓ *space*
- ✓ *Character*
- ✓ *Myth*

Abstract :

This study interrogates the strategy of narrative fictionalisation in ʿEzzedineJelawji's novel Hāʾ waAsfārʿIshtār. Close reading shows that myth functions as a marked textual phenomenon shaping the work's imaginative texture, causing the narrative to oscillate between two distinct paradigms: a traditional paradigm that draws upon the mythological canon, and a modern, experimental paradigm that pursues divergence and carves out a specifically Arab novelistic idiom.Guided by these insights, the research adopts myth criticism as its analytical framework for probing the novel's modes of narrative creation. The paper therefore unfolds in two parts: the first theorises the conceptual tools of myth criticism, while the second operationalises them in a myth-oriented reading of Hāʾ waAsfārʿIshtār.The study yields two central findings. First, the narrator succeeds in casting his vision through a mythic narrative fabric that traverses spaces where the real and the legendary intersect. Second, the text provokes a critical dialogue about the self's relationship to its world and to the Other.

* بلقرون فاطمة زهرة

✓ AzeddineDjelaouji

1. مقدمة

تبني رواية "هاء وأسفار عشتار" لعز الدين جلاوجي متخيلها الفني على أنقاض نصوص أسطورية سابقةٍ، فالقارئ للرواية يستخلص أنَّ البنية الأسطورية مهيمنة موضوعاتية وفنية وسعت مدارات التخييل السردي لتحريك طاقة الحكي، ومنحت النص كثافة دلالية تستفز عملية القراءة والتأويل، وهو نتيجة لذلك نص يتطلب قراءة نقدية خاصة يمكنها رتق الفراغات وفك الشفرات، ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة للإجابة عن إشكالية جوهرية تمثلت في: ماهي آليات اشتغال التخييل السردي في رواية هاء وأسفار عشتار؟ وماهي الدلالات العميقة لهذه الأساطير؟ وما علاقتها بنسقية الأحداث في الرواية؟ ونفترض أنَّ الأسطورة قد تدخلت تدخلا صميمياً في تنسيق البنية السردية لرواية "هاء وأسفار عشتار"، وأنّ السّارد حمّل الأساطير دلالات إيحائية عميقة وأثار من خلال هذه الموتيفات الأسطورية إشكاليات ثقافية تؤرق بطل روايته، وبناءً على هذه المعطيات النصية وقع اختيارنا على أدوات النقد الأسطوري للكشف عن استراتيجية التخييل السردي في الرواية، والآليات النقدية التي تمت بها عملية استثمار البعد الأسطوري وتنسيجه داخل أتون الرواية، ولتحقيق ذلك اتبعنا تصوراً منهجياً يتألف من المحاور الآتية: تقديم الرواية وأحداثها لوضع القارئ ضمن صيرورة الحدث السردي، ثم التدرج نحو طرح آليات النقد الأسطوري التي سيتم الاشتغال عليها إجرائيا، ثم الولوج في الجزء الثاني الخاص بالمقاربة الإجرائية وقد قسمناه إلى قسمين: القسم الأول: يتمحور الأول: حول آلية بناء الفضاء الروائي وتأثير البعد الأسطوري على بنيته.والقسم الثاني: يختص بأسطره الشخصية الروائية واستدعاء الشخصيات الأسطورية وتحبيكها في المتن السردي.

2. تقديم الرواية:

رواية "هاء وأسفار عشتار" صدرت عن دار المنتهى بالجزائر سنة (2022م)، تشتمل بنيتها التركيبية على مقاطع سردية، شكلت هده المقاطع وحدات صغرى مرقمة، بلغ عددها سبع وعشرين (27) قطعة، أكسب هذا التوزيع الرواية قيمة منهجية، فرضتها طبيعة الثيمة المتشعبة ومسار الحدث المتشابك، وتعدد العوامل والأدوار.

تتميز رواية "هاء وأسفار عشتار" بأنها خطاب تجريدي أقرب إلى مناجاة "الأنا" لنفسها، ففي الفصل الأول الموسوم "أسفار التيه" يناجي البطل نفسه تارة مؤنباً وتارة ساخطاً على مجتمعه وتارة مسترجعاً لأحداث ماضية تركت فيه نفسه أثراً. يعمل البطل ناشطاً سياسياً وأستاذاً جامعياً ومؤلفاً لكتاب "الإنسان الحر" الكتاب الذي لقي رواجاً كبيرا بين القراء في الجامعة وخارجها، يمارس النسق الاجتماعي ضغطه على البطل فبعد وصول الكتاب إلى يد السلطة تتم مصادرته والقبض على البطل والحكم عليه بخمس سنوات سجن بتهمة التحريض ضد الوطن. أمّا في الفصل الثاني الموسوم "أسفار المسخ" يقضي البطل سنوات عجاف في السجن ويخرج منه مأزوماً نفسياً ليجد أن حبيبته تزوجت وقطه مات ليصبح وحيدا في الحياة، فيستسلم إلى هواجسه التي تأخذه إلى رحلة حلمية يجد نفسه فيها رفقة جلجامش ومواجهاً لجبروت الإلهة عشتار، في نهاية الرواية وبعد الرحلة الحلمية وقف البطل على حقيقته بصفته إنسان ضائع قلق ليس ثمة أمل في الخلاص من واقعه هذا إلا بالتقبل والكف عن المغامرة غير المجدية.

رواية "هاء وأسفار عشتار" مشدودة بملع ومأساوية إلى ما يشكل عالماً تغيب فيه الحريات ويُرغم الإنسان على العيش في سجن كبير، عالم يصادر الحقوق والآراء، إنَّ هذا التبئير على ما يعتمل داخل المجتمع قدمته الرواية في بناء تخييلي يقوم على تقنيات سردية متنوعة منها تكسير خطية الزمن والتلاعب بتراتبيته، إذ يتم زمن السرد الروائي في الحاضر إلا أنَّ أحداثا عديدة تتخلل القصة يعود بعضها إلى طفولة البطل(ضياع خواتم الوالدين، وفاة الجد، وفاة الوالدين...)، تتوسع مدة جريان الزمن المتقطع بإقحام قصص استطرادية داخل القصة الكبرى (بيع الكتاب، حب الفتاة، الاعتقال) ، هذا التداخل واللعب في الزمن يتبعه تداخل ولعب مماثل في الفضاء المكاني فمن البيت إلى الغابة إلى الجامعة إلى السجن إلى المكان السرمدي غير المحدد في الرحلة الحلمية. يُتابع السرد غالباً على لسان السارد المتكلم/ البطل، فالأنا تصوغ خطاباً يبرز موقفها من العالم والسلطة والمجتمع والأهل، وأحيانا يتدخل السارد كلي المعرفة ليقدم تفاصيل تعود إلى الماضي، هذا التناوب بين الصيغتين يجعل الرواية تغتني في مواطن كثيرة من الكلام المؤسلب للرواة الآخرين وكُتّاب اليوميات والمذكرات والرسائل.

3. الأسطورة والنقد الأسطوري(Myths&Mythocritique):

شكلت الأسطورة رافداً مهما من روافد الأدب العربي الحديث والمعاصر، فكما وجد الشعراء غايتهم في توظيف رموز أسطورية يتقنعون من خلالها للتعبير عن رفضهم وسخطهم من الوضع الاجتماعي والسياسي، وجد الروائيون أيضا ضالتهم في الأسطورة لأنها تمثل بدايات الوجود الإنساني عندما كان المجتمع الإنساني يتميز بالبساطة وتغلب على معاملاته الفطرة الإنسانية السليمة، ومن هنا يبرز أمامنا أحد أسباب التوجه نحو الأسطورة هو "الحنين المتشبث الغريب للماضي والبحث عن عصر ذهبي خيالي في الزمان والمكان"(فراي،، 1991، صفحة 240) ووجود العدالة والمساواة وغياب الضنك والعبودية، والدارس للنتاج الإبداعي العربي يلاحظ تكرار توظيف شخصيات أسطورية معينة من قبيل: جلجامش، الفينيق، عشتار، أفروديت، أيزيريس وغيرهم وهذا لأن المبدع العربي صنفهم ضمن خانة "النماذج العليا" الكامنة في اللاوعي الجمعي لذلك فالمبدع يرى أنَّ "دراسة النماذج العليا هي دراسة الرموز الأدبية بوصفها أجزاء من كل"(فراي،، 1991، صفحة 149)، أجزاء من المجتمع وتحيل بشكل غير مباشر إلى الرغبات الفطرية، والسبب الآخر للتوجه نحو الأسطورة هو الرؤيا التي يمتلكها المبدع والتي تجعله يبصر أعمق من الآخرين، لذلك فإن العمل الأدبي "ليس هذا الواقع بل ما يمكن تصوره أو هو الحد الإبداعي للرغبة، هو حد لا نهاية له في الزمان والمكان ولذا فإنه رؤيوي"(فراي،، 1991، صفحة 155) وهذه أعظم خصائص الأدب أنه رؤيوي أي ينقد الماضي ويستخلص منه الدروس ويحلل الواقع ويقدم الحلول للمستقبل ويقف إلى جانب الفئات الهشة ضد الجبابرة، فـ"الأدب في المرحلة التأويلية يحاكي حلم الإنسان الشامل، أي أنه يحاكي فكر وذهن إنساني يقع على محيط واقعه وليس في مركزه"(فراي،، 1991، صفحة 150)أنسان مهمش ومستعبد لا يمتلك أدنى الحقوق ومطالب بأداء واجباته.

اكتمل النقد الأسطوري مع نورثروب فراي (Northrop frye)(1912-1991م) في كتابه "تشريح النقد" 1957م، ولكن قبل ذلك مر النقد الأسطوري بعدة مراحل بدأت منذ عهد أرسطو وجهوده النقدية في التأسيس لنظرية الشعر، حيث كان الشعر مرتبطا بالمسرح اليوناني والروماني ومرتبطا بالأسطورة، وفي العصر الحديث ظهر مصطلح Mythocritique أول مرة في دراسة فوركين نماذج نمطية الأصل في الشعر الصادرة عام 1934م، ثم توالت الدراسات في حقل الأساطير، ومن أبرز الجهود العلمية طروحات كلود ليفي ستراوسClaude Levi Strausse (1908-2009م)لاسيما في مؤلفه "البنيات الأولية للقرابة" 1949م. وبعدها ربط

ستراوس الأسطورة بالمدرسة البنائية منتقداً نتائج المدرسة التطورية التي جعلت المجتمع في أعلى مراتب التطور الحضاري، وتوصل إلى أن الشعب الأوروبي المتحضر قد مر بنفس المراحل التاريخية للوصول إلى هذه الحضارة، ذلك أنَّ العقل الإنساني واحد ويستخدم نفس العمليات العقلية، وقد استرفد ستراوس في دراساته للأساطير بنتائج علم النفس وتوصل إلى أنّ هناك أساس شعوري عميق لدى الإنسان يعزز إيمانه وتقديره للأسطورة، يُنظر(ستراوس،، 1993، صفحة 39)

يعمل النقد الأسطوري منهجيا على "استقراء الظواهر الأسطورية في النصوص الإبداعية...ومدى احتفاظها بخصائصها، كشخصية أو حادثة أو موتيفا أسطوريا من خلال احتفاظها بالحد الأدنى للخصائص الجوهرية ومدى تحولها داخل العمل الأدبي"(بعلي، 2011، صفحة 297) وبالتالي فإن النقد الأسطوري يعمل وفقا لآليتين أولا: قابلية الأسطورة للتوظيف الأدبي أي احتوائها على خصائص التحول والتشكيل التي تجعلها قادرة على أن تصبح عنصرا بنيويا في النص الأدبي. وثانيا: قدرة المبدع الفنية على توظيف الأسطورة من خلال التحويلات والتحويرات التي يقوم بها حتى يخرجها إلى الوجود الجمالي، يُنظر(بعلي، 2011، صفحة 297) وبالتالي فإنه يخلق أسطورة جديدة وهي أسطورة نصه، دون أن ينتهك خصائص النوع الأدبي، فعملية التحوير تخضع لقواعد الجنس الأدبي وأهم قاعدة هي الحفاظ على نسقية النص وجعله بعيدا عن تأثير العوامل الخارجية لأن "الأدب يشكل نفسه ولا يتشكل من الخارج"(فراي،، 1991، صفحة 122) وبالتالي فإن الأسطورة تندمج مع النسق الداخلي للنص وتصبح جزءً من تركيبته البنيوية.

4. استراتيجية التخييل السردي في رواية "هاء وأسفار عشتار" لعز الدين جلاوجي في ضوء النقد الأسطوري:

التخييل السردي ليس خطابا مزيفا أو خاطئاً، بل هو تقنية فنية يهدف من خلالها الروائي إلى إفراغ الحقائق الواقعية من مرجعيتها وشحنها بدلالات أخرى تتجاوزها، فيتم استدعاء عناصر أخرى تدعم التخييل السردي وتؤشر إلى الواقع بطريقة ضمينية، والهدف هو التأثير في المتلقي لتوجيه أفكاره وتأويلاته. تتكشف استراتيجية التخييل السردي في نص "هاء واسفار عشتار" من خلال آليتين نقديتين، وهما أسطورية الفضاء المكاني الذي يحتضن الحدث والشخوص، والتقنية الثانية تختص بعملية التحوير النصي للشخصيات الأسطورية لتتساوق مع قصدية السارد ووضعية الشخوص الروائية.

1.4 دلالات عنوان رواية "هاء وأسفار عشتار":

تحتفي رواية "هاء وأسفار عشتار" بالأسطورة منذ جملتها العنوانية، يقف النص عند "عشتار" رمز الحضارة البابلية، ورمز الثورة، ورمز الحب الأبدي، تروي الأسطورة وفائها لحبيبها "تموز" ومخاطرتها بنفسها لتحريره من عالم الأموات، هذا الاستحضار للأسطورة في عنوان الرواية أكسبها بنية دلالية منفتحة على بؤرة الحكي ومركزيته مرتبطةبـ"احتمالات دلالية تفتح أفق الانتظار إما للمساءلة أو لإعادة فهم منطق الحكاية بما يكثف لحظاتها ويحدد محكياتها"(الحجمري، 1996، صفحة 16) وبالتالي فإنّ العنوان يعلن عن نسقية الحكي وعوالمه الممكنة،وتقريب للعالم الحكائي إلى القارئ المحتمل، فقد اعتمد فيه الكاتب التكثيف والتلميح.

تنفتح الرواية على احتمالات قرائية متعددة: تحمل دلالات الثورة على الهموم والمشاكل والفساد، فربما يطلب النص من "عشتار" أن تبعث الخصب إلى حياة شخوصه، والتجدد لأنها خُلقت من زبد البحر كما تروي الأسطورة، والماء يحمل دلالات النماء والحياة الجديدة بعد اليأس،هذه الروح ربما تحتاج إليها الشخوص. وهناك احتمال آخر يؤطر أفق انتظار القارئ يتمثل في الثورة على الوضع الراهن للأحداث للحد من الظلم والاستبداد وتسلط القوي على الضعيف، أو ربما "عشتار" هي الحبيبة المفقودة لبطل الرواية فـ"عشتار"

رمز الحب الأبدي أو هي صورة للبطلة المضحية. وعليه تبقى الرواية مفتوحة للقراءة والتأويل إلى لأن تتم قراءة النص قراءة نقدية واعية والربط بين عنوانه ومتنه.

2.4 بناء المكان الأسطوري / الامتصاص والتذويب:

يستخدم نص "هاء وأسفار عشتار" لعز الدين جلاوجي آلية الامتصاص والتذويب في تصوير الأماكن، فالسارد في هذا المستوى يقوم بتذويب الأسطورة ومحو حدودها وامتصاصها داخل نسقية السرد، مستفيداً من دلالاتها الاستعارية في إصباغ الصفات الأسطورية على المكان، إذ لا حدث أسطوري دون مكان أسطوري، وبالتالي فإنَّ الأسطورة تختفي وتتمظهر آثارها في صنع بنية الفضاء، فتتخفى الدلالات الرمزية والشعرية للأسطورة ضمن رؤية معاصرة.

يغمض البطل عينيه ليرتاح، وهنا تبدأ رحلته في عالم آخر، إنه عالم الحلم الذي يتعالى عن واقع البطل وقيوده، فينطلق اللاشعور لصنع عالم جديد متناقض/ أسطوري/ عجيب، لا يعترف بالزمن ولا بهندسة المكان، وحده الحلم جعل البطل ينفلت من رقابة مجتمعه، بعيدا عن ضيق غرفته ومدينته، الحلم بالمكان المثالي حيث السعادة والعدل،ففي الحلم يستعيد البطل حريته المسلوبة بعيدا عن الرقيب السلطوي، ويُمارس لاوعيه الشعوري سلطته على الوعي ويستحوذه.يحيلنا هذا إلى اليوتيوبات التي ظهرت في المخيلة الإنسانية، فأفلاطون أول من استدعى المكان المثالي في جمهوريته، وتبعه في ذلك أبو العلاء المعري(ت449هـ) في "رسالة الغفران"، وابن شهيد (ت426هـ) في "رسالة التوابع والزوابع"، وبالتالي فإن رواية "هاء وأسفار عشتار" تتناص مع هذه النصوص الأدبية في خاصية توظيف الحلم وعوالمه.

تهيئ استراتيجية الحلم خصوبة السرد للتحول نحو أجواء الأسطورة في رواية "هاء وأسفار عشتار"، فيرى البطل نفسه قد ارتد بالزمن لملايين السنين إلى عصر "الإلهة عشتار"، حيث يرى نفسه يدخل الغابة ممسوخاً:" الإلهة عشتار وقد حولتني ذئبا"(جلاوجي.، 2022، صفحة 121) إذن، تكتسب الرحلة أسطوريتها ابتداءا من حادثة المسخ التي تعرض لها البطل وتحول إلى ذئب بسبب غضب "الإلهة عشتار"، المكان المؤطر لهذه الرحلة هو **الغابة** النكرة لم يُذكر اسمها والهدف إضفاء دلائل الغموض والرهبة، وبالتالي فإنها غابة وهمية لا وجود لها إلا في ذهن "البطل"،وهذه الغابة تقترب من التجريد وتفتقر كثيرا إلى خصائص المكان وهذا التجريد يفضي بها إلى الغموض الذي يسهم كثيراً في أسطرتها، وهذا الجانب قد تم امتصاصه من الأسطورة وتذويبه في الرواية، فلا تتمظهر الأسطورة على المستوى السطحي وإنما يتمظهر **التشابه** في تشكيل الفضاء الروائي. أما حالة المسخ التي أصابت البطل فهي عقاب له من "عشتار"، وهذا التحول من آدمي إلى حيوان هو تنزيل وحط من قيمته وهذا دلالة إلى وضعه المأساوي بعد أن تخلى عن مبادئه في الدفاع عن حقه المدني واستسلامه بعد خروجه من السجن، وكأن روحه الثائرة والمحاربة قد مُسخت وتحول إلى تابع ذليل. وعليه فإن المسخ يحضر إلى النص محملاً بدلالات الضعف والممسوخ يحمل هم العودة إلى أصله لذلك فإنه يخوض تجارب قاسية في سبيل تحقيق ذلك، وبالتالي إن واقع البطل يتقاطع مع دلالات المسخ الذي يرصد ضعف البطل، وسقوطه أمام معطيات ظروفه، إذ عليه الدفاع عن مبادئه وأفكاره ليستعيد آدميته.

يقدم النص مقطعاً وصفياً لملكوت "الإلهة عشتار" بأسلوب ولغة الأسطورة ، يقول البطل مندهشاً وسارداً: "وتمددت الإلهة عشتار فجأة من بين يدي ثم استوت على عرش كأنما سيق إليها في لمح البصر وقد طرزه الذهب والدُّر الملون من كل

مكان"(جلاوجي.، 2022، صفحة 118) حولت الأسطورة الرواية إلى نص يرشح بالعجائبي وهو ما فتحه على نافذة الإدهاش وهو عنصر جمالي أسهم في توسيع أفق الحدث الروائي وإثراء المتخيل الفني بدمج عنصر ثقافي فكري، هذا الاندماج جعل البطل يعيش داخل، " العالم الأسطوري السَّحري الحقيقي وهو العالم الذي تختلط فيه حدود الممكن والمستحيل، وتمتزج فيه مستويات الخيال بالواقع"(فضل، 1987، صفحة 311)هذا التشابك بين المركبين(الأسطورة والرواية) جعل المتخيل الفني يتحرر من العنصر الأسطوري الخالص أو العنصر الروائي الخالص، بل أدى إلى تفجير طاقة قصصية يتدفق فيها الخيال وترتفع فيها مستويات التأثير الشعري والمتعة الفنية لدى المتلقي الذي يبقى مشدوداً لأنه لا يدرك الحدود الفاصلة بين الأسطورة والرواية، لعل تصوير عرش "الإلهة عشتار" بهذه الصور يؤشر إلى مكانة الحاكم في المجتمع في حين يبقى المحكومون في حضيض المجتمع فحتى حريتهم يتم سلبها ومصادرتها إذا عارضوا سياسات الحكم أو عبروا عن رفضهم وامتعاضهم، فالحاكم يتمدد حكمه ويبسط سيطرته على الجميع، تماما مثل "الإلهة عشتار".

يرسم النّص ملكوت الإلهة عشتار بشكل يليق بمقامها فهي آلهة الخصب والجمال وحكمت –من خلال الأسطورة–مملكتها طويلاً، يقول البطل مندهشا في منظر العرش الملكي: "إلهة تمتد على ملكوتها المرصع بالجواهر والدُّر والذهب، والمتوهج بالنور والجلال، وقد رفرفت حولها طيور أشبه بمخلوقات ملائكية شفيفة ذات ألوان مختلفة تشع بها فترسم في المكان هالة غابة في السحر، واستوت إلى جانبها شمعتان تشعان بنجمان مخمسان يتضاءل حجمهما حتى يكاد يختفي، ثم يشع فجأة فيضخم حتى يكاد يبتلع كل شيء"(جلاوجي.، 2022، صفحة 138)تقوم لغة الوصف في المقول السردي على الجملة السردية المشبعة بنصوص غائبة/أسطورة، لقد أفلح السارد في إنتاج نص يقيم علاقة تفاعلية بين النص اللاحق والنص السابق، أدّى هذا التعالق إلى تكثيف مستويات التخييل، ما يجعلها رواية مثيرة للخيال والمتعة.

ينتج عن مواجهة جلجامش ضد "الإلهة عشتار" جو عاصف أشبه بنهاية الكون، يصف السارد ذلك قائلا: "فجأة هبت رياح عاصف راعد، واكفهرت السماء فأمطرت وتماوجت الأشجار حتى كادت تلامس الأرض وعرش الغبار فملأ الفضاء غبشاً وقد كفن أصابع النور"(جلاوجي.، 2022، صفحة 142) هذه المغامرة هي استيحاء لمغامرات جلجامش وأنكيدو في غابة الأرز وقتلهما للعفريت "خمبابا" حارس الغابة، استدعى السّارد بعض المظاهر الأسطورية في تشكيل الفضاء للدلالة على قوة الإلهة وغضبها من "جلجامش" و"البطل" وبالمقابل المقاومة الشرسة التي واجهتها من طرف "جلجامش"، فلا ريب أن ينتج عن هذه المواجهة ما يشبه الإعصار، يأتي هذا التوصيف تدعيما لهرمية البنية التخيلية وتحريرها من سلطة الواقعي، وبعث الطاقة الدرامية الموجودة في الأسطورة لخلق حيوية في الحدث، هذه العملية لا تنتج عن مجرد تحميل الألفاظ صورا ودلالات أسطورية وإنما نتجت عن عمق التركيب بين الأسطوري والروائي في صياغة مشهدية الحدث، يثير "جلجماش" الثورة والعنفوان في نفس "البطل" نموذج الإنسان المتقد، المثقل بقضايا الإنسان والمجتمع، فهو يريد أن يكون مثله أو يجد صديقاً شجاعاً مثله يقف إلى جانبه ضد الطاغوت، لأن جميع أصدقائه وزملاءه تخلوا عنه فور دخوله السجن، وبقي وحيداً يصارع ظلم السّجان وعذبات نفسه الثائرة إلى أن استكان، استطاع أن يحتضن التجربة الإنسانية كاملة ملوحا بقيم العدل ومنددا بالظلم ومستعرضا لمظاهر الصراع بين العدل والظلم، الحق والباطل.

تبدو من خلال بنية المكان الروائي أثر الأسطورة في إثراء المتخيل الفني لرواية "هاء وأسفار عشتار" وتفاعلها مع مجريات الحدث السردي، فالسارد لم يتعامل مع الأسطورة بوصفها نص ثقافي مقدس، بل دمجها مع عنصر المكان لتكثيف التخييل وتجاوز الحدث الواقعي وإفراغه من دلالاته المرجعية وملئه بدلالات جديدة تتوافق مع السياق الخطابي التخييلي.

3.4 بناء الشخصيات/ التحوير والتحويل:

يلجأ نص "هاء وأسفار عشتار" إلى توظيف الشخصيات الميثولوجية التي لها تعالق ضمني مع السياقات السردية والحدث المصاغ والرؤيا التي يبثها النص بين تلافيفه. ومن هنا فإن النص مطالب بفهم الشخصية الأسطورية المراد توظيفها حتى يستطيع استيعاب دلالاتها، فإمكانات أي أسطورة لا يمكن أن تضيف إلى النص دلالات مكثفة إلا إذا تمكن الأديب من فهم مغزاها الحقيقي.

جلجامش بطل أسطورة "جلجامش" وهو ملك مؤله ثلثاه إله وثلثاه الآخر بشر، ورغم صفة الألوهية التي يحملها إلا أنه ظل كأي إنسان عادي يخاف ويقلق من نهايته، ومن هنا بدأ رحلته للبحث عن سر الخلود الأبدي في الحياة، وبالتالي فإنه بطل قلق مأزوم / البطل المأساوي. لذلك اختاره السارد في رواية "هاء وأسفار عشتار" ليرافق بطل روايته في البحث عن الطموح الإنساني وهو الحرية من كل قيد، بعد أن استكان البطل الروائي وانعزل عن العالم ورضي بالقيود التي فرضتها الظروف السياسية، فالبطل بضعفه فإنه يأخذ ملامح شخصية المتضرع في المأساة اليونانية، ويمثل "صورة العجز التام" عن تغيير وضعه الواقعي أو في رحلته الحلمية، يقول واصفا وضعه أمام " الإلهة عشتار" "ظل قلقامش يلمع في أعماقي بإصرار، ورفعت قلبي فبسطت كفيه إلى السماء، عدوها اللدود سينقذني من أسرها ومن الكرب العظيم الذي أوقعت نفسي وحده فيه"(جلاوجي.، 2022، صفحة 139) هنا يدرك البطل حاجته إلى جلجامش وقوته لينجو من كيد "الإلهة عشتار" وهذا مؤشر دلالي إلى حالته حالة الانسان المحاصر التائق إلى التحرر من كل صور السجن بما في ذلك سجن "الإلهة عشتار" فهو "شخصية المتضرع في الموضع البنيوي المأساوي الذي يكون قد فقد فيه المتضرع مكانته الرفيعة"(فراي،، 1991، صفحة 280) أي صفاته الإنسانية وأصبح مجرد ذئب تابع وذليل للإلهة عشتار ينتظر من "جلجامش" أن يساعده وينجيه، وتتمظهر شخصية "الإلهة عشتار" التي رُسمت أفعالها كما ترسم المأساة اليونانية شخصيتها، وهي هنا تقضي بالفعل المأساوي الذي يؤدي إلى مسخ البطل إلى ذئب.

ينتج عن أول مواجهة بين "جلجامش" و "الإلهة عشتار" نجاح الإلهة: "واندفعت الإلهة عشتار نحو قلقامش ومدت أصابعها نحوه، وما كدت حتى تسمرت مكاني...وبلغت أصابعها رقبته فثغا كخروف، فحملته فلوح بقدميه في الهواء..."(جلاوجي.، 2022، صفحة 143)، قوة الإلهة جعلت قلقامش يبدو كأنه قزما بين يديها، لكن هذا الوضع لا يدوم طويلا إذ يستعيد "جلجامش" قوته، ويثور ضد لإلهة عشتار، وينتج عن المواجهة الشرسة بينهما عاصفة قوية، يصفها السارد/ البطل قائلا: "اشتد زلزال الأرض، ودوى في الأفق رعد، الإلهة عشتار في عرشها وقد ضاق بها، بدت لي أصغر مما خيل إلي...انكمشت الإلهة عشتار حتى اختفت مطلقا"(جلاوجي.، 2022، صفحة 141) وبالتالي فإنّ السّارد يبني شخصية جلجامش بنفس المواصفات الأسطورية التي ظهرت بها في الأسطورة الأصلية، جلجامش هو الصديق المخلص للبطل في رحلته ويُطلق عليه الرافض لأنه يسعى جاهدا لمقاومة" التحرك المأساوي نحو الكارثة"(فراي،، 1991، صفحة 281) ممجداً لقوته وقدرته على التغلب على "الإلهة عشتار" كما تغلب على حارس الغابة

العفريت "خمبابا" وبالتالي فإن الاستدعاء الأسطوري لم يجر تحويرا على الشخصية، لأن البطل بحاجة إلى قوة وشجاعة "جلجامش" لينتشل نفسه من الوضع المأسوي الذي يعيشه. ومن هنا فإنّ الطابع الأسطوري لـ"جلجامش" يرتبط بمفهوم النموذج الأعلى المخزن في اللاشعور الجمعي لدى كارل يونغ Carl Gustav Jung (1875-1961) الذي يميزه بخصائص: التكرار والتعاقب والتجريد.

تستدعي رواية "هاء وأسفار عشتار "صورة "الإلهة عشتار" الأنثى الفاتنة، المومس، الإلهة الباعثة للخصب، مصدر الغواية، يناجي البطل من خلالها أحلامه ورغبته في عودة حبيبته التي تزوجت وتركته، وبهذا تتكشف ذات السارد المعذبة، يقول واصفا ممارساتها الإغوائية: "على يد حانية استيقظت من نومي العميق، وقد امتلأت راحة وغبطة، وراحت الأصابع البضة الممتدة من بعيد تجوس جسدي، وما كدت أتبين حتى اندفعت معتدلا في جلستي...لم تكن الأصابع البضة الفاتنة إلا أصابع عشتار"(جلاوجي.، 2022، صفحة 138)يكشف المقول السردي عن سيكولوجية البطل الممزقة بسبب حبه لحبيبته وتزويجها من رجل آخر، فالعودة إلى توظيف "الإلهة عشتار" بكل حمولتها الدلالية يؤشر إلى حاجة البطل إلى حبيبته، وحاجته إلى الحب والاحتواء، أمام سطوة الضياع والفقد والتهميش والهزيمة التي يعاني منهم، وعليه فإن سيكولوجية البطل أثارت رواسب ميثولوجية انعكست لاستجابة العقل لفعل الخوف من المجتمع. أما على صعيد التخييل السردي فيأتي هذا التشابك بين واقع البطل والأسطورة ليزيد فاعلية التوتر الدرامي لشخصية البطل.

يعمل النص على تشغيل مناخ الأسطورة واستقدام المكابدة السيزيفية، فالوضع المتأزم الذي يعيشه البطل من قمع سياسي ومصادرة للحقوق وخاصة حق الحرية، جعله هذا الموقف يتقنع بشخصية سيزيف ويندمج معها، فهو يعاني ما عاناه سيزيف، تنهض الأسطورة الأصلية على فكرة العبث واللاجدوى، فسيزيف عاند "الآلهة" لهذا ألحقت به العذاب، أن يدحرج الصخرة إلى القمة وعند الوصول تعود أدراجها وهكذا دون أن ينتهي الأمر نهاية واضحة أو ينتهي ذلك العذاب، والنص بتوظيفه هذه الشخصية المماثلة للبطل يحمله دلالة الاستكانة والضعف والخضوع، يُحدث نفسه: "تملكتني خيبة كبيرة، لا مناص من سجن العبودية، ماكنت أفعلإلاما فعله سيزيف، وقد حكمت عليه الآلهة بالشقاء الأبدي"(جلاوجي.، 2022، صفحة 145)فالبطل قد تخلى عن نشاطه السياسي بعد خروجه من السجن وانزوى في بيته بعيدا عن العالم الخارجي، وهو بذلك يشابه نفسه بـ"سيزيف" الذي استكان لحكم الآلهة وكأن البطل حكمت عليه الآلهة/ النسق الاجتماعي والسياسي بالخضوع لنظامه والركون في سجن العبودية، وعليه فإن التوظيف النوعي لهذه الجزئية من الأسطورة يعود إلى قدرة السارد على نبش الأسطورة الكامنة في ذهن بطله.

يتجلى خطاب التخييل في لجوء السارد إلى أسطورة "سيزيف" ذات المرجعية الثقافية/ الواقعية عند المتلقي، وأخضع الأسطورة إلى عملية تحوير من خلال عقد مشابهة بين وضعية البطل القابع في سجن العبودية الذي فرضته عليه الظروف السياسية ووضعية سيزيف الذي تسلطت عليه عقابات ولعنات الآلهة، وبناء على ذلك نستخلص أن البناء التخييلي في رواية "هاء وأسفار عشتار" مادته من المجتمع والخلفيات الثقافية والسياسية التي تكونه، ويقوم بتفكيكها وإعادة تركيبها وفقا لمنطق جمالي، فينتج تركيباً جديداً يخضع لأدوات الصنعة الفنية.

تأتي رواية "هاء وأسفار عشتار" لعز الدين جلاوجي لتستقرأ "ضنك النسق المجتمعي حينما يمارس الإقصاء ويدفع المطالبين بالحرية إلى الانعتاق والحياة الجديدة المنفتحة إلى الانعزال القاتل أو إلى الاستسلام لنسقه الجبار"(المصباحي، 2017، صفحة 77) وهي حالة الانفصال التي عاشها البطل بينه وبين واقعه، فخاض رحلة وهمية لتحقيق الذات والبحث عن الحرية قصد الثورة عن الواقع المنحط،

وادانته لفظاظته وبشاعته وغرابته وشكلت الأسطورة "نداء قوي للخروج من دوائر الخوف/السلطة، والتوتر/العزلة، والضياع/الهزيمة، دون أن تقع في واقعية مباشرة، أو تلجأ إلى وسائط غريبة يمكن لها أن تعطل طاقة القص أو توقف نموها"(إبراهيم، 1992، صفحة 278) فحالة الاندماج بين الموتيفات الأسطورية والبنية السردية كثفت التخييل السردي وأغنته وخرجت به من دوائر التكرار والاجترار وجعلته بناء جمالي يواجه سلطة الواقع بسلطة التخييل الذي يسترفد من الأسطورة طاقاتها الدلالية والرمزية. ومن هنا تخوض الرواية مغامرتها صوب التجريب، للتأسيس لخصوصية النص الروائي العربي في الجزائر، الذي يبني متخيله الفني على تراث عربي وعالمي للخلاص من قيود التبعية للمؤسسة الثقافية الإمبريالية.

5 . خاتمة

جاءت هذه الورقة البحثية التي خصصناه للكشف عن آليات اشتغال التخييل السردي في رواية "هاء وأسفار عشتار" مقاربة في ضوء النقد الأسطوري. وقد انطلقنا من قراءة نقدية محتواها وجود تواشج تركيبي بين الأسطوري والروائي إلى حد الالتصاق، وذكرنا أن قارئ الرواية لا يستطيع الفصل بين الأسطورة والرواية في عدة مشاهد درامية، وبناء على هذه القراءة خصصنا هذه الورقة البحثية وفي ختامها توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- اشتغل نص "هاء وأسفار عشتار" في استراتيجيته التخيلية على بنيتين سرديتين هما: الفضاء المكاني الذي يجري فيه الحدث السردي، وعنصر الشخصية من خلال استدعاء شخصيات أسطورية وتدبيجها ضمن نسقية السرد.
- ينطلق نص "هاء وأسفار وعشتار" من مرجعية أسطورية وواقعية نسبيا، ليصل في النهاية إلى خلق صدمة لدى المتلقي الذي لا يجد الحقيقة متمظهرة في النص، إلا من خلال بعض من المحسوسات والمدركات والأحداث الطبيعية، بينما يجد التخييل الأسطوري يطغى على جزء كبير من الرواية.
- تحمل أسطورة جلجامش تفسيرا لصراع الإنسان مع الحياة، وبحثه عن سر وجوده وقلقه من الظواهر الطبيعية وسعيه نحو التحرر من القيود الفكرية والاجتماعية. لهذا جاء توظيفها في رواية "هاء وأسفار عشتار" لعز الدين جلاوجي متساوقا مع حياة البطل وظروفه.
- استندت الرواية إلى تراث أسطوري متعدد الأصول، فقد انطلق من قصص ورموز أسطورية (سيزيف، الإلهة عشتار، جلجامش)، فحاكى بينها وغيّر في بعض محتواها تطويعا للسياق السردي ولمقاصده الفكرية وتأسيساً لمتخيل روائي مغايرة للمتخيل التقليدي.
- مثل جلجامش في الرواية نسقا متكاملا من المعاني وبذلك تحول إلى نموذج ورمز وإلى البطل في مجتمع نفعي هش يحمل صراعات داخلية، ساهم حضور جلجامش في خطف البطل من واقعيته باتجاه رمز أسطوري إنساني.
- تدفقت طاقة التخييل السردي عند اقترانه بالمخيال الأسطوري مما أدى إلى تكثيف مستوى التعجيب والغرابة، وأثرى المتخيل الفني للرواية وانزاح به عن المألوف نحو الفرادى الأدبية.

- بنى النص فضاءاته بناءً أسطورياً جديداً، وعليه فإن النص قد أسس أسطورته الجديدة بعيدا عن التقليد والتغريب، وكسر أفق توقع القارئ وهو ما أدى إلى خلق متعة فنية.
- قدرة الروائي الجزائري المعاصر على صياغة رواية عربية ليعيد بهذه الهيكلة البنائية قراءة الثقافة الشعبية عبر المبادلة بين النص الشعبي القديم والنص الجديد، فتنبث الثيمات الملتقطة من عالم الأسطورة وتشظياته، لتحتضنها الرواية وأدواتها الفنية، فقد أعاد النص الروائي إنتاج العناصر الأسطورية وجعلها أداة من أدوات بلورة النص بصورة وأسلوب جديد تحكمه شروط كتابية تاريخية أخرى وتؤطره مقاصد ومحددة.
- لقد تمكنت الرواية الجزائرية من الخوض في تجريب التخييل المركب بين الواقع والميثولوجيا ونجحت في خلق مساحة إبداعية جديدة وملامسة الحدود القصوى من الإبداع، وأمام كل هذه الإمكانات الجديدة والمغايرة، والقدرة على تطويع المركب الإبداعي، وجب على النقد الأدبي بذل المزيد من الجهود النقدية لتفكيك هذه المركبات القصصية المعقدة والابتعاد عن الخوض في هل الأسطورة أسبق من الواقع في التوظيف الروائي؟ أم العكس، فهكذا إشكاليات نقدية قد تمت دراستها، والتجربة الإبداعية لم تعد تطرحها على متلقيها.

قائمة المراجع:

- ابراهيمع ,(1992) .أبريل .(التوظيف الأسطوري في تجربة القصة القصيرة في الإمارات المتحدة .*فصول*.*2* ,
- الحجمري ,ع .ا .(1996) .*عتبات النص البنية والدلالة* .(éd. 1)الرباط ,المغرب :منشورات الرابطة.
- المصباحي ,ع .ا .(2017) .، *الأنساق السردية المحاتلة* .(éd. 1)بيروت ,لبنان :مؤسسة الرحاب الحديثة
- بعلي ,ح .ر .(2011) .*مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة، في ترويض النص وتقويض الخطاب*، .(éd. 1)عمان ,الأردن :، دروب للنشر والتوزيع، .
- جلاوجي ,.ع .ا .(2022) .*هاء وأسفار عشتار*، .الجزائر ,الجزائر :منشورات المنتهى.
- ستراوس، ,ك .ل .(1993) .*مقالات في الإناسة*،) .ح .قبيلي (.Trad ,بيروت ,لبنان :دار التنوير.
- فراي، ,ن .(1991) .*تشريح النقد*) .ج .عصفور (.Trad ,عمان :منشورات الجامعة الأردنية.
- فضل ,ص .(1987) .*منهج الواقعية في الابداع الأدبي، الفصل الأخير عن الواقعية السحرية* ، .الهيئة المصرية العامة للكتاب.